طقوس الموت بمدينة وادي زم وبواديها - زمن الحماية الفرنسية

Death rituals in the valley of the city of Zem and its valleys - the protection of the French protectorate

إعداد

الصافي عبد الرزاق

Safi Abdel Razzaq

طالب باحث بسلك الدكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط

د. خليل السعداني

Dr. Khalil Al-Saadani

د.سيدي محمد معروف الدفالي

Dr. Sidi Muhammad Maarouf Al-Dafali

Doi: 10.21608/jnal.2025.409189

استلام البحث ٢٨ / ١٠ / ٢٠٢٤

قبول البحث ٢٧ / ١١ / ٢٠٢٤

عبدالرزاق، الصافي والسعداني، خليل والدفالي، سيدي محمد معروف (٢٠٢٥). طقوس الموت بمدينة وادي زم وبواديها - زمن الحماية الفرنسية . ***مجلة الناطقين بغير اللغة العربية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨(٢٤)، ٢٥ – ٣٨.

http://jnal.journals.ekb.eg

طقوس الموت[١] بمدينة وادي زم وبواديها – زمن الحماية الفرنسية

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة طقوس الموت في مدينة وادي زم والمناطق المحيطة بها خلال فترة الحماية الفرنسية (١٩١٢-١٩٥٦)، مع التركيز على الجوانب الثقافية والاجتماعية والدينية التي شكلت هذه الطقوس. اعتمد البحث على منهجية تاريخية تحليلية، حيث تم جمع البيانات من مصادر وثائقية، شفوية، وأرشيفية، بما في ذلك الروايات الشفوية لكبار السن الذين عاصروا تلك الفترة، بالإضافة إلى الوثائق الأرشيفية الفرنسية والمحلية. وتناول البحث طقوس الموت من لحظة الاحتضار حتى الدفن وما بعده، بما في ذلك العادات المتعلقة بالغسل، التكفين، الصلاة على الميت، والجنازات. كما تم تحليل دور المجتمع في تقديم الدعم العاطفي والمادي لأسر المتوفين، ودور النساء في تنظيم وإدارة هذه الطقوس. وأظهرت النتائج أن طقوس الموت في وادي زم كانت تعكس قيم التضامن الاجتماعي والتكافل، مع وجود تأثيرات محلية ودينية عميقة. ومع ذلك، شهدت هذه الطقوس بعض التغييرات خلال فترة الحماية الفرنسية بسبب التأثيرات الاستعمارية، مثل تغير أنماط الحياة والتحولات الاقتصادية. ومع ذلك، حافظ المجتمع على العديد من تقاليده كشكل من أشكال المقاومة الثقافية. ويخلص البحث إلى أن طقوس الموت في وادي زم كانت أكثر من مجرد ممارسات دينية، بل كانت تعبيرًا عن الهوية الجماعية وقوة الروابط الاجتماعية في مواجهة التحديات الاستعمارية.

Abstract:

This research aims to study death rituals in the city of Oued Zem and its surrounding areas during the French protectorate (1912-1956), focusing on the cultural, social and religious aspects that shaped these rituals. The research relied on an analytical historical methodology, where data were collected from documentary, oral and archival sources, including oral accounts of elderly people who lived during that period, in addition to French and local archival documents. The research dealt with death rituals from the moment of death until burial and beyond, including customs related to washing, shrouding,

[١] "وَلِكُلِ أُمَةً أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَيَسْتَأْخِرُونَ سَاعَة وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ" .سورة الأعراف ،الآية ٣٤:

"قُلْ إِنَ أَلْمَوْتَ الَذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَ تُرَدُونَ إلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَهَادَةِ فَيُنَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" .سورة الجمعة :الآية ٨

"أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَدَة" سورة النساء ،الآية ٧٨

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

praying for the dead, and funerals. The role of society in providing emotional and material support to the families of the deceased, and the role of women in organizing and managing these rituals were also analyzed. The results showed that death rituals in Oued Zem reflected the values of social solidarity and mutual support, with deep local and religious influences. However, these rituals underwent some changes during the French protectorate due to colonial influences, such as changing lifestyles and economic transformations. Nevertheless, the community maintained many of its traditions as a form of cultural resistance. The research concludes that death rituals in Oued Zem were more than just religious practices, but rather an expression of collective identity and the strength of social ties in the face of colonial challenges.

مقدمة:

بعد أن يشتد المرض على الشخص يهرع أفراد عائلته إلى بذل كل الجهود في سبيل علاجه مستعملين أساليب تقليدية تتضمن مجموعة من الأعشاب التي يتم طهوها في الماء من أجل شربها أو أنها تحرق من أجل أن يستنشق رائحتها، وهو الذي يوضحه عبد الغني منديب بقوله؛ "فعندما يصاب أحد الأفراد بمرض معين وتظهر عليه أعراضه جلية، فإن المعالجة تتجه أولا صوب الوصفات الطبية التقليدية، التي تتألف في الغالب الأعم من أعشاب أو مواد طبيعية متوافرة في عين المكان تستعمل عادة لتخفيض حرارة الجسم العالية أو تسكين الألم أو إيقاف النزيف أو غيره"[٢]. لكن إن اشتد المرض يحاول الأهل نقله على وجه السرعة إلى اقرب مركز استشفائي ليتلقى العلاج أما إن وافته المنية فذاك قدر الله ومشيئته ف"ليست حياة الإنسان في الدنيا كلها أفراح ومسرات، وليست كل أيامه أيام أعياد وحفلات، بل تتخللها بين الحين والحين لحظات نكد ونغص، تطول أو تقصر، وتؤثر في النفوس بهذه الدرجة أو تلك، حسب درجة التحكم فيها والتكيف معها، ولعل أصعب هذه اللحظات هي لحظات فقدان أحد الأفراد ورحيله النهائي"[٣].

فالحياة انطلاقا مما سبق تتخللها أيام من الحزن والكئابة، لعل موت احد الأقارب او الأصدقاء أبرزها مما يجعل الحزن يخيم على الأجواء، فإذا " كانت المناسبات

[٢] عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفرقيا الشرق ٢٠١٠- الطبعة الثانية، ص. ٩٦.

[٣] عبد العزيز طليح، إبقوين نبش في الذاكرة، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط ٢٠١٦، ص. ١٦٥.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

السابقة مناسبات فرح يتقاسم فيها سكان (وادي زم) لحظات الفرح، فإن مناسبة وفاة شخص معين هي الأخرى يتقاسم فيها السكان الأحزان والألم مع أهل الهالك بصورة أكثر من مناسبات الفرح، ففي المناسبات السابقة لا يحضر فيها إلا من دعي إليها، أما مناسبات الحزن فالكل يحضرها دون انتظار الدعوة، إذ أنه بمجرد سماع وفاة شخص معين من الدوار يهرع السكان إلى منزل الهالك، ويتم ترك جميع الأشغال في ذلك اليوم، وذلك لمساندة أهل الميت"[٤].

الحياة ليست مستمرة في هذه الدنيا إلى الأبد، فكل من على هذه الأرض سيفنى يوما ما، والحياة ليست كلها مسرات وأفراح، بل تتخلل هذه الحياة بين الحين والأخر لحظات نكد ونغص، تطول أو تقصر، وتؤثر في حياة الأفراد، ولعل أصعب هاته اللحظات المحزنة هي موت أحد الأفراد، سواء ابن أو بنت، زوج، أب، أم، أخ، أخت، عم، عمة، خال، خالة ... وتجدر" الإشارة إلى أن البحث في تاريخ الموت يعد موضوعا مهما في نسق الإسطوغرافية الأوروبية، منذ منتصف القرن العشرين، بتوظيفه لمفاهيم ومناهج عديدة نابعة من سياقات إبستمولوجية مختلفة، تم التنبه لها في خضم تحولات منهجية ومعرفية مست حقول التاريخ والعلوم الإنسانية. وولد هذا الأمر تصورات مهمة، كان لها وقع وتأثير على مباحث واهتمامات المؤرخ، وعلى أدوات اشتغاله النظرية والمنهجية"[٥].

الموت الذي لم ولن ينجو منه أحد، فقد توفي الرسول الكريم نبي الأمة محمد ﷺ، فما بالك بإنسان عادي، للموت طعم صعب لن يسلم أحد من تذوقه، لذلك سعى الإنسان إلى التأقلم معه، ووضعه النهاية الحتمية لكل مخلوق، لذلك تجد المعزين يرددون مجموعة من الكلمات والمفردات على سبيل المثال لا الحصر؛ الله أبدل المحبة بالصبر، عظم الله أجرك، عزاءنا وعزاؤكم واحد، إنا لله وإنا إليه راجعون، "الله إرزقكم الصبر". هذا الموت الذي يلاحق الإنسان، الذي مهما طالت أو قصرت حياته، فهو أمامه، مهما صال وجال، فالمنية ملاقية له، يتم الإعداد لها بظهور أعراض الموت على الشخص الذي يحتضر، هذا إن لم تأته بغتة "سكتة قلبية، لدغة عقرب، أو أفعى ..."، كاصفرار وشحوب الوجه، أيضا تثاقل اللسان "تَثْقَالْ هَضْرْتُوا "، في هاته الأثناء، يتم وضعه باتجاه القبلة "قَبْلُوا سِيَدْ –ة-"، و"يفتح آله، ،إلزاما،

[٤] مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩، ص. ٤٠.

[٥] محمد أبرهموش، الموت في مغرب ما قبل الاستعمار: ملاحظات على ضوء عوامل كثرة الموتان" ص. ١٢٤.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

الأبواب والنوافذ لتهوين سكرات الموت. كما يجردون المحتضر من الخواتم، والقلادات والأقراط لكي يكون الحتف هينا. وإذا بقيت سلسلة في عنقه، فإنه ينجم عنها احتضار جد مؤلم، ذلك أنها تغل في الأرض روحا ترغب في الصعود عند الله. وحتى "الحروز" تنزع من الهالك، ويجرد كذلك من جلبابه ذي السبع فتحات مثلما لجهنم سبع أبواب، وإذا قدر واضطرت الروح لمغادرة الجسد من إحدى هذه الفتحات، فمآلها النار بكل تأكيد. وتسحب مخدة المحتضر من تحت رأسه هي الأخرى، ذلك أن بقاءها يشد الروح إلى الأرض.

ويكون الاحتضار عسيرا بالنسبة للذين قتلوا قططا أو كلابا قيد حياتهم. ذلك أن الهررة تتوفر على سبع أرواح، ما يجعل قتل أحدها يعادل قتل سبعة أشخاص، أما الكلاب، فلها سبع وسبعون روحا، ما يضاعف بكثير مدى جريمة قتل أحدها"[٦].

يبدأ الناس بزيارة المحتضر طلبا للمسامحة وللاطمئنان عليه، أو يتم إحضار بعض الأشخاص الذين كان معهم على خصام أو نزاع للتسامح معه، وإلقاء النظرة الأخيرة عليه، بل وأيضا تقديم المساعدة لأقاربه[٧]. "ويحسب المغاربة أن المرض طويل الأمد والمؤلم بمثابة تكفير عن الخطايا المرتكبة خلال الحياة. ومن يتوفى عقب داء لزمه مدة طويلة يدخل مباشرة الجنة، ونفس المآل من نصيب من يغادر الحياة يوم الجمعة، نظرا لأن أبواب جهنم السبعة تكون مغلقة في هذا اليوم. وتوصد هذه الأبواب كذلك في شهري شعبان ورمضان، ولهذا، يفلت من يموتون خلال هذين الشهرين من كل عذاب"[٨].

نظرا لشدة الألم الذي يحس به المريض المحتضر فالعديد يطلب الموت المفاجئة بالقول "تهريسة الكُلة لالا شقف لا ما" تجنبا لكل الم[٩]، "وعندما يكون الاحتضار شاقا، يسكب العسل في فم المحتضر ويوضع الريحان المدقوق في سرته، وتطرد رائحة الريحان الجني الذي يتمسك بالروح لمنعها من مغادرة الجسد، بينما يجتذبها العسل. وبعد طرد هذا الجني، يصير الموت سهلا"[١٠]، كما يتم تقطير الماء له ليسهل اخراج الروح من الجسد[١١].

---

[٦] الدكتورة ليجي، المعتقدات والطقوس الشعبية للمغاربة قبل مائة عام، ترجمة: سعيد عاهد، نشر دار القلم العربي للنشر والتوزيع بلوك ج رقم ١٩٠ المغرب العربي القنيطرة- المغرب، الطبعة الأولى: ٢٠٢٢، ص. ٢٢٤.

[٧] عبد العزيز طليح، م. س، ص. ١٦٥.

[٨] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٢٥.

[٩] رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٥، على الساعة ١٩:٣٥.

[١٠] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٢٤.

[١١] رواية شفهية للسيد الفقيه السي البشير البي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٥، على الساعة ١٩:٤٠.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

كما يسجل أن أقارب أو قريبات المحتضر، يلازمونه بالبقاء معه في غرفة واحدة طيلة فترة الاحتضار، حرصين أشد الحرص على تلقينه الشهادة أثناء الموت "لا اله الا الله محمد رسول الله". وعندما تذهب الروح إلى خالقها، يتم إغلاق عيني الميت، وفمه، بالإضافة إلى ثني يديه ووضعها على صدره وجسده مستقيم. حينها يشاع خبر الموت الخبر الفاجعة، وينتشر انتشار النار في الهشيم، فتبدأ النساء(زوجته،بناته،كناته،اخواته،بنات اخوانه...) في "أَلْتْنْوَاحْ" وفي نَدْبِ وُجُوهِهَم وَأَلجَدْبِ بِشُعُورِهَم وَأَلتْرْطْيَةَ أي السقوط على ألأرضْ حزنا على فراقه، وهي التي تسمى لدى سكان وادي زم "بأَلْمَنْدَبَةً"، حيث تجتمع النساء وتقمن باللف على بعضهن بشكل دائري، ترثين الميت قائلات:

- ❖ أرْبِي مَالْكْ عْليَ، أو ألرَعْدَةَ فِي جْبَالْ وَانَا طَاحَتْ عْلِي أَرْبِي مَالكْ عْلِيَ.
- ❖ حَيْ حَيْ أَلالَةَ رَاهْ خَلا أَلخَيْمَةَ خَاوْيَةَ.
- ❖ وَدَوَارْ أَلعْدُو كُدَامِي وَنَارِي عْمَاوْ عَيْنِيَ، شَجْرَةَ تْلُوحْنِي لْشَجْرَةَ وَالشَوْكْ مَارْتَلِيَا.
- ❖ وَخَلِوْنِي نْكُولْ عْلِيهْ مَجِيتْ غَنْكُولْ عْلِيهْ.
- ❖ هُوَ عَاشْ سْبَعْ فِي أَلغَتْرَةَ وَالبْنَاتْ حَارْمَاتْ عْلِيه.
- ❖ وَهَذاكْ بُويَا هَذَاكْ خُويَا، هَذَاكْ جيبي هذاك حْنيني.
- ❖ وَهَيْتُوا العْزَرَى أُو خَلا مَرْتُوا هَجَالَةَ
- ❖ وَهَيْتُوا العْزَرَى أُو خَلا مَرْتُوا طَمْعيةَ[١٢].

وهناك من الحاضرات من تحرص على تبيان مساوئ الشخص الميت بإظهار حرفته اثناء الحياة ومختلف التصرفات والأخلاق التي اتصف بها، على سبيل المثال لا الحصر؛

- ❖ خليوني نكول عليه خليوني نكول عليه.
- ❖ كان ما يتوضى ما يغسل رجليه.
- ❖ عارف غير البكرة تتزبل عليه[١٣].

أما الرجال المقربون من الميت فيبكون (أصدقاء، العائلة)، بينما الأبناء يقومون بندب صدورهم "تَيْنْدَبُوا كْوَاشْمْهُمْ"، ولطم وجوههم، وجرح خدودهم، كما يقومون برمي أنفسهم في نباتات وأشجار شوكية "تَيلوُحُو رُوسْهُمْ في شْليفْ تَاعْ شْطَبْ"[١٤] أي أشجار السدر، بالإضافة إلى أن هناك منهم من يقوم بطلي نفسه بالأوساخ المتواجدة في حضيرة البهائم من خلال رمي الجسد فوق تلك المخلفات أو

[١٢] رواية شفهية للسيدة طوطو الوراق، يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، على الساعة ٠٩:٠٠.
[١٣] رواية شفهية للسيد للحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢٢/٠٢/١٠، على الساعة ٠٧:٣٨.
[١٤] رواية شفهية للسيد للحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، على الساعة ١٠:٠٠.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

طلي الوجه بالوحل النتن المتواجد بالقرب من أماكن الماء وبجانب الآبار[١٥] أو برماد الفرن "رْمَادْ تَاعْ إنُورْ، تَاعْ الفَرَانْ"[١٦]. بالإضافة إلى عدم الاغتسال وتغيير الملابس لمدة طويلة دلالة على الحزن. كما ان البعض من أقاربه يقوم بربط خصره بطَارْفَة تَاعْتْ الخَيمَةَ وهي قطعة سوداء من الخيمة دلالة على الحزن والأسى ويبدأ الرجل في العويل على الرجل الميت أي ترديد تلك العبارات السابقة التي سبق لنا الإشارة إليها.
يمكن القول أن هذه "المندبة" تترك في نفس الحاضرين أثرا بليغا إذ يتم ترديد محاسنه وخصاله وقيمته ومكانته في وسط قبيلته، وربما كيف ستكون الأوضاع بعد موته.
أما من جاء لأداء واجب العزاء وكان من الأصدقاء والأقارب يدخل إلى الميت ويقبل رأسه كوداع أخير، في حين أن بعض الشباب يهرعون إلى "ألرَوْضَةَ" لحفر البيت الأخير الذي لا يتجاوز عرضه شبر ونصف شبر، إنه القبر، وعمقه تقريبا نصف متر، يتم الحصول على طول القبر عن طريق قياس طول الميت بِقِنَبْ تدفن معه في قبره، لأنه يتم اعتبارها نذير شؤم "وَفَالْ خَيْبْ" عندما يتم بها قياس قامة شخص حي[١٧]، كما أنه إلى جانب القنب يتم دفن مع الميت أيضا "أَلكَتَانَةَ بَاشْ غَسْلُوهْ "و أيضا "أَلصَابُونِيةَ"، بالإضافة إلى "أَلحْنُوطْ"(أَلوَرْدْ، أَلزْهَرْ، مَاوَرْدْ...)، اذ يعتقد العديد من الناس "أن الأدوات التي استعملت في تغسيل الميت وتكفينه ودفنه تصير منبعا لقوى سحرية وذات مفعولات فوق طبيعية قادرة على إحداث الضر بالناس، لذلك يحرص أهل الميت على الاحتفاظ بها بعيدا عن متناول بعض النساء الراغبات في استعمالها"[١٨] إلى أن تدفن معه.

وإذا كان الميت رجلا يغسل في المغسل المتواجد بالمقبرة، او يغسل في بيته هاته العملية التي يقوم بها هو الفقيه ويحصل على مقابل مادي من طرف اهل الميت لا يحدد مقداره كل حسب استطاعته وفي بعض الحالات لا يعطونه أي شيء بسبب قلة الإمكانيات المادية، "ويوضئ "الغسال" الميت وفق طقوس الوضوء للصلاة المعتمدة، وتوقد خلال العملية شمعتان، واحدة عند رأس الهالك والثانية عند قدميه. ومن شأن الشمعتين إبعاد الجن الأشرار، وكذلك منع الجن الأخيار من تخطي الجثة. وينثر الحرمل في الغرفة أيضا، ويُعتقد أن عدم اتخاذ هذه الاحتياطات يتيح للشيطان فرصة التبول على الجثة"[١٩].

[١٥] رواية شفهية للسيدة صالحة الصافي يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٩، على الساعة ١١:٠٠.
[١٦] رواية شفهية للسيدة زوهرة الوراق، يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٤، على الساعة؛ ١٥:٤٠.
[١٧] عبد العزيز طليح، م. س، ص ١٦٦.
[١٨] عبد الغني منديب، م. س، ص. ١٦٠.
[١٩] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٢٨.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

والجدير بنا الإشارة إلى ما قاله محمد الشرقاوي –البزيوي- في هذا الصدد؛ "إذا كان الميت حاجا يغسل بالزغاريد ويحمل إلى المقبرة ويدفن بالزغاريد، وإذا كانت المرأة نفساء يزينون شعرها بالبراعم، وكذلك إذا كانت المرأة فتاة عذراء أو توفيت وهي عروس"[٢٠]. المرأة "يتم غسلها في المنزل من طرف نساء لهن دراية بهذه المهمة"[٢١] لما في ذلك من الحفاظ على احترامها خاصة أن عقلية المجتمع عقلية ذكورية.

هذا القبر الذي يفضل غالبية السكان أن يكون بجوار قبور الأهل من آباء وأجداد وأعمام أو زوج والزوجة، إنهم الأهل المقربين السابقين في لُقْيَا ربهم، وغالبا ما يكون المتوفي قد بلغ أفراد عائلته عن المكان الذي يفضل أن يدفن فيه بعد موته، كما يتم الإعداد للدفن بتوجيه من أحد كبار العائلة أو الفقيه "أَلْمُشَارْطْ فِي جَامَعْ"، من تحضير الكفن وَأَلْمَغْسَل، ويقوم المكلفون بحفر القبر بإحضار "أَلْمَرْفَعْ" أو "أَلْمَحْمَلْ"، الذي يكون بالمسجد "جَامْعْ"، وعند إخراج "المرفع "من باب المسجد، يبدؤون بجهة الرأس، أي الجهة العلوية منه، وذلك بغية الحد من "أَلْبَاسْ"[٢٢].

عند الإنتهاء من إعداد المراسيم للدفن، يدخل بعض الشبان من أقرباء الميت إلى غرفته، ويحملونه مكفن، ويمكننا أن نشير في هذا السياق إلى أن الرجل يختلف عن المرأة في الكفن، فللرجل خمسة أشياء واجب توفرها هي:

- سروال "وَقَمِيجَةَ"، رَزَةَ، قطعة توب توضع من الأسفل أي فراش له/ وقطعة توضع من فوقه.

أما المرأة فيجب أن تحضر سبعة أشياء رئيسية لها وهي:

- سروال أو "قَمِيجَةَ"، الفراش من "جُوجْ قُطْعَاتْ وَحْدَةَ مَنْ لْتَحْتْ أُو وَحْدَةَ مَنْ الفُوقْ "، و"الدَرَةَ" و"بَلغَةَ"[٢٣].

كما سبق وأن أشرنا كان يتم حمل الميت وهو مكفن فوق "المرفع =المحمل"، و"قبل إخراج نعش الميت من الدار، يجب أن يغادرها الأطفال غير القادرين على الكلام بعد، نظرا لأن المغاربة يظنون بأن الطفل الصغير، ومعه الحيوانات، يسمع نواح الروح التي تحضر الجنازة، ولذا من المفروض عليه المغادرة حتى لا يصبح خوافا وبكاء"[٢٤].

---

[٢٠] محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١، ص. ١١٦.

[٢١] مصطفى الميموني، م. س، ص. ٤١.

[٢٢] رواية شفهية للسيدة ميمونة الوراق، يوم ٢٠١٧/٠١/١٦، على الساعة ١١:٤٩.

[٢٣] رواية شفهية للحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٤، على الساعة ١٠:٠٠.

[٢٤] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٢٩.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

في حين يكون باقي أفراد العائلة والأصدقاء والجيران، خارج الغرفة في انتظارهم للسير وراءهم، أثناء حمله يتناوب شبان أربعة في حمله، كلما تعب واحد منهم يتم إراحته من طرف الناس المرافقين، ف"كلما صادف امرؤ موكبا جنائزيا في الطريق، فعليه، في حالة تعذر مرافقته إلى المقبرة، الوقوف بمكانه وانتظار أن تحتجب الجنازة عن نظره قبل مواصلة المشي. ويعتقد المغاربة أن كل خطوة خلال المشي خلف نعش، حتى لو كان لشخص مجهول، تغفر معصية مرتكبة يوم الحساب، كما أنها تجسد تكريما للميت في نفس الوقت"[٢٥] والفقيه يتقدمهم وهو يردد:

-لا اله الا الله محمد رسول الله

-يا مولانا يا رحمان جود علينا بالغفران

-مولانا نسعاو رضاك أو على بابك واقفين، لا من يرحمنا سواك يا أرحم الراحمين

وغيرها من كلمات التهليل والتكبير.

عندما يصل موكب الميت إلى "رَوْضَةَ"، "يدخل الرجال وتتأخر النساء خارج المقبرة"[٢٦]. يصلي الرجال الحاضرون صلاة الجنازة، وهم واقفون، إذ هاته الصلاةلا ركوع فيها ولا سجود، وتقام عبر قراءة صورة الفاتحة سرا، بعد تكبرة الإحرام والدعاء للميت، فالإمام لا يسمع من كلامه سوى؛ الله اكبر، وجثة الميت أمام المصلين، بعد التسليم، يقوم الناس بحمل الجثة إلى قبرها، توضع الجثة على جانبها الأيمن، موجهيها نحو القبلة، يقومون بإغلاق القبر باستعمال "أَلصُفْرَةَ"، وهي عبارة عن حجر مسطح، أو "أَللحْدْ " المصنوع من الاسمنت. يتم غرس "شَاهِدَتَيْنْ"، واحدة عند الرأس وواحدة عند القدمين، إن كان رجلا توضعان عاديتين، وإن كانت امرأة "تَيْتْحَطُوا مْحَرْفَاتْ"،يتم رش القبر بعد وضع التراب بالماء فقط إذا كان الميت رجلا، وإن كانت امرأة يتم رشه بالماء والحناء، كما يتم وضع الأحجار و"شْطَبْ"، وهي أغصان شجر السدرة يابسة، الذي يتميز بأشواكه الحادة، تجنبا لنبش الحيوانات للقبر من (الكلاب، الثعالب، الارانب البرية...)، وأيضا تجنبا لنبش البشر، ويبقى هذا الحاجز إلى أن يكمل الميت "رُبْعِينْ يَوْمْ فِي ألْقَبَرْ".

أثناء عملية الدفن كان يتم ترديد دعاء على الشكل التالي:

اللهم ارحم عبدك بن عبدك ابن آمتك كان يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله، اللهم يا رب اجعله في مقعد صدق عند ملك مقتدر، الله يارب ارحمه وارحم جيرانه، وارحم أموات المسلمين كافة أجمعين. ويتم قراءة آيات من الذكر الحكيم، أثناء وضع تراب القبر من خلال قراءة سورة يس، و الملك بعدها وما تيسر من القران الكريم، كما يتم قراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات، ثم يقوم الناس بالدعاء له

[٢٥] المرجع نفسه، ص. ٢٣١.

[٢٦] محمد الشرقاوي –البزيوي-، م. س، ص. ١١٧.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

بالرحمة والمغفرة ويطلبون لأهله الصبر ولجميع الحاضرين الأجر والثواب والرحمة، ليتفرق الناس كل إلى حال سبيله.

تتحدث الدكتورة ليجي عن هذه الطقوس قائلة؛ "ولا ينصب المغاربة نصبا جنائزيا للمتوفى إطلاقا، ويكتفون بوضع حجر واقف أو آجرة عند رأس الميت وقدميه، تسمى "الشهادات". وعقب انتهاء مراسيم الدفن، يغادر الحاضرون جميعهم المقبرة باستثناء "الطالب" الذي يمكث واقفا بمحاذاة القبر. ويعتقد الناس في المغرب أن الهالك ينادي أصدقاءه ثلاث مرات، قائلا لهم: "أيها الأصدقاء، لا تتركوني وحيدا، لا تهجروني، انتظروني، سألتحق بكم"؛ لكن الحيوانات بمفردها تسمع نداءه وتفهم معناه. وعند ذاك، وبعد الانتظار ما يكفي من الوقت لينادي الميت أصدقاءه، ينحني "الطالب" على القبر ويقول لدفينه: "لقد قضيت وقتك، ارقد في أمان، إن ساعة سباتك حلت"، وعقبها، يترك بدوره المقبرة"[٢٧].

في تلك الليلة التي دفن فيها الميت، يتم إعداد وجبة عشاء من قبل عائلة الميت، وهي صدقة على روحه، يتم دعوة أهل الدوار والأصدقاء لحضور تلك الوجبة، بالإضافة إلى "أَلطُلْبَةَ" حملة القرأن الكريم، للقراءة على روحه وتلاوة "الأذكار والأمداح النبوية، وتختم بصالح الدعاء للميت ولأهله ولجميع المسلمين"[٢٨].

"فالروح ترجع باستمرار إلى بيت صاحبها خلال الأيام الثلاثة التالية لوفاته. وهي تلج الدار محدثة حفيفا، وأحيانا طنينا مرتفعا. وحتى لا تشعر بالخوف حين تزور الدار ليلا، يترك أهل الهالك الشموع مشعلة خلال الليالي الثلاث تلك. وعقب انقضاء الأيام الثلاثة كاملة، يُسكب ماء الإناء على قبر الراحل، فوق موضع رأسه، مع نقع قليل من الحناء فيه"[٢٩].

يستمر المعزون في المجيء إلى بيت الميت أيام عديدة، حاملين معهم السكر، وهناك من يحضر الدقيق،الزيت، الخبز، الخضر، الفواكهتضامنا مع أهل الميت، "وبالنسبة لأكلات العزاء: فقد كانت تتكون في الغالب من الخبز الرقيق "بوشيار"، و"الحريرة" أو الأرز والحليب والشاي، والكسكس باللحم والخضر، وصحون بيض، مع الخبز والتين (الكرموس اليابس)"[٣٠].

في اليوم الثالث لدفن الميت "نْهَارْ ثْلْثِيَامْ"، تتجه النساء والرجال اقارب الميت سواء كان رجلا أو امرأة، إلى الروضة لزيارة المتوفي والترحم عليه، حاملين معهم "كْرَيْصَاتْ تَاعْ بُوشِيَارْ أو تَيعَيطُوا لْدْرَارِي أو سُرَاحْ لِقْرَابْ تَمَاكْ، أو تَيقُولُو أجِيو

[٢٧] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٣١.
[٢٨] عبد العزيز طليح، م. س، ص. ١٦٨.
[٢٩] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٢٦.
[٣٠] محمد الشرقاوي –البزيوي-، م. س، ص. ١١٧.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

تَاكْلُوا ألصَدَقَةَ "، بالإضافة إلى الحليب والتمر والشاي والبيض المسلوق،كما يأخذون معهم الحناء والزهر الذي يرشون به القبر، وتسمى هذه الوجبة بالتفريق[٣١].

زيادة على أن زوجة الميت تقوم بلباس الأبيض الذي يسمى "ألرْبَاطْ" الذي يستمر أربعة اشهر وعشرة أيام، ولا ينبغي أن تخرج من منزلها إلا بعد شروق الشمس، كما أنه من الضروري أن تعود إلى بيتها قبل الغروب "مَتْبْشِي تَطْلَعْ شَمَشْ أُو تَرْجَعْ كْبَلْ تْرُوحْ شَمْشْ"[٣٢]. مع "ترك الزينة بكل أشكالها"[٣٣].

الجدير بالإشارة القول أن الميت الذي يترك زوجته حاملا، تقوم زوجته بعد حمله فوق "المرفع"، بالمرور أسفل المَحْمَل أَوْ أَلمَرْفَعْ وزوجها فوق هذا الأخير، ليكون ابنها مثل والده ويكون خليفة له، لتشرع في لباس الأبيض "تشد حق الله" حتى لا تكون محط شك من الأهل والجيران فلباس الأبيض يرمز إلى الحزن على فراق الزوج، وبعد "انقضاء أربعة أشهر وعشرة أيام وهي أيام العدة الشرعية تنضو الأرملة المحدة عنها تلك الملابس البيضاء، ويعد لها حمام خاص... تستحم فيه ثم ترتدي ثيابا جديدة ملونة، وتتزين بطلاء الحناء في يديها ورجليها وتضع قليلا من "الكحل" في عينيها وبعضا من "السواك" في فمها وعلى شفتيها. وترمز هذه الزينة إلى المرور من عالم الحداد الضيق المثقل بالمحرمات والمقيد بالمحضورات إلى العالم الاعتيادي الفسيح المنشرح. وتعتقد كثير من النساء أن ثياب الحداد تحمل نفحات قدسية تجعل منها ترياقا فعالا ضد العنوسة وتأخر الزواج"[٣٤].

كما يتم إعداد وجبة عشاء" لَيْلَةَ ثْلِتْيَامْ "، وأيضا " لَيْلَةَ الرُبْعِينِيةَ" كصدقة على المتوفي، خلال هذا العشاء يتم استدعاء "ألطُلبَا " لتلاوة آيات من القرآن الكريم.

يمكننا أن نتحدث أيضا عن كون الميت، إذا كان طفلا صغيرا أو جنينا، فإنه يدفن بدون أن يغسل أو يكفن، لأنه يعتبر ملاك، لازال يتمتع بطهارة ونقاء، ولا يحمل هذا الأخير فوق "المرفع او المحمل" وإنما يحمل بين الذراعين، من طرف أحد أقاربه، وليس الأب أو الأم، لأنه لا يمكنهما حمله نظرا لأنهم "مَكْرُوحِينْ عْلِيهْ".

وإذا كان المتوفي أعزبا أو عزباء، يقومون بوضع الحناء في اليد اليمنى[٣٥]، ويخرجونه من المنزل بالزغاريد، وذلك لكونه "رَايحْ عَزْرِي عَنْدْ الله "، والنساء التي تزغرد لهن أجر كبير عند الله سبحانه وتعالى حسب المتداول. وهو ما يوضحه عبد الطليح بقوله؛ "إذا كان الهالك جنينا أو طفلا صغيرا، لا يحتاج إلى تغسيل وكفن

---

[٣١] رواية شفهية للسيدة حدهم وديعي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٦، على الساعة ١٠:٠٥

[٣٢] رواية شفهية للفقيه الحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢١/٠٢/٠٦، على الساعة: ١٠:٠٠.

[٣٣] عبد العزيز طليح، م. س، ص. ١٦٩.

[٣٤] عبد الغني منديب، م. س، ص. ١٦٢.

[٣٥] رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ٢٠٢٢/٠١/١٦، على الساعة ١٢:٣٤.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

كالمستشهد في ساحة المعركة، لأنه "ملك" لا يزال على طهارته ونقائه كما يقال، يرفرف بجناحيه البيضاوين حيث مقامه في الجنة خالدا، كما لا يحتاج إلى نعش لحمله، بل يتكلف بذلك أحد أقاربه، حيث يوضع على يديه الممدودتين أسفلا، وهي الوضعية التي يُكره حمل الأحياء بها، أما إذا كان الميت أعزبا ذكرا أم أنثى، فبعد التغسيل توضع في يده اليمنى حناء، وعند خروج نعشه من البيت تطلق عليه زغاريد من بعض النساء، ولهن في ذلك أجر عظيم حسب المتداول بين ساكنة القبيلة"[٣٦].

وفي أثناء دفن الميت يقوم أقاربه بدعوة الناس الحاضرين معهم في مراسيم الدفن ليلتحقوا بالمنزل لتناول وجبة العشاء الدي يتم اعداده من قبل اقاربه خاصة أبناء الميت او اخوته، وجبة العشاء هاته تعد من الكسكس أو "تشيشة". وبعد مرور ثلاثة أيام يقوم أبناء الميت بتفقد ملابسه وماله والأثاث الذي تركه من اجل معرفة المخلف منه. ثم تقفل غرفة الميت إلى أن يقترب اكتمال الأربعين يوم حينها يجتمع الأبناء من جديد من اجل بناء "ألقبرية" التي يكون الإعداد لها بشراء الاسمنت والرمل وإحضار المعلم الذي يقوم ببناء القبر. ثم يتوجه الأبناء والبنات من أجل اقتسام الأثاث، هذا الاقتسام الذي يكون بالقرعة أي بضرب العود لهم، هذا إن لم يتوافقوا من أجل تسليم ذلك الأثاث لأحد الإخوة الدين كانوا يعيشون في البيت. "ومدة الحداد في المغرب قصيرة، إذ يتوقف الرجال عن حلق لحاهم خلال شهرين اثنين، وكذا عن نزع الشعر من أبدانهم وقلم أظافرهم. أما النساء، فيضعن ألبسة من القطن الأبيض ولا يتزين أو يتخضبن. وهن مطالبات، يوم انتهاء فترة الحداد، باستحمام تطهيري وإرسال طعام "صدقة"، باسم الميت، إلى الفقراء"[٣٧].

ما ينبغي أن نشير إليه في هذا الصدد أيضا هو أن علاقة الميت لا تنقطع مع الاحياء بصفة نهائية فهم يزورونه ويخبرونه بآلامهم وأفراحهم، يزورونه للتصدق والترحم عليه بدفع مبلغ مالي للفقهاء الذين يكونون في المقبرة لهذا الغرض، "كما يزور الأموات بدورهم أقاربهم الأحياء في أحلامهم ليستطلعوا عن أحوالهم في دار الفناء وينبؤوهم بأخبارهم في دار البقاء"[٣٨].

كان يخصص الوادزميون بعض الأيام لزيارة موتاهم، ففي ليلة السابع والعشرين من رمضان، ويوم عاشوراء، وفي عيد الفطر وعيد الأضحى، يتم زيارة الموتى والتصدق عليهم بغية تخفيف عذابهم، كما يحرصون في كثير من الأحيان على التصدق على هؤلاء الموتى في الأيام العادية معتقدين أن الميت يأتي يوم الجمعة ويوم الاثنين لأخذ الصدقات التي وهبها له أبنائه الأحياء، فإن جاء بسلته وملائها صدقات

[٣٦] عبد العزيز طليح، م. س، ص. ١٧٠.
[٣٧] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٣٢.
[٣٨] عبد الغني منديب، م. س، ص. ١٦٢.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

قال؛ خليت تريكا حلال في دَارَاتْ الدنيا حمرت وجهي بين الموتى الله احمر وجها بين الحيين"، وان جاء ولم يجد أبنائه قد تصدقوا عليه يقول "خليت في دارات الدنيا تريكة حرام كحلت وجهي بين الموتى الله اكحل وجها بين الحيين"[٣٩].

تتحدث الدكتورة ليجي عن الموت قائلة؛ "وفي الأزمنة السالفة كذلك، كان الناس يحاطون علما بموعد وفاتهم أربعين يوما من قبل، وكان هذا الإخبار يرعبهم، ما يؤدي بهم إلى الهزال بسرعة فائقة، لدرجة أنه كان يتم دفن مجرد هياكل عظمية عند انقضاء الأجل. وقد اشتكت حشرات القبور الأمر إلى الله، قائلة: "إنك لا تحب مخلوقاتك بنفس القدر، لو كنت تريد بنا خيرا، لما أعلمت مسبقا البر بموعد وفاتهم، ولكنا وجدنا بفعل هذا ما نأكله غير العظام لنعيش". وقد استجاب الله لشكوى الحشرات، وانطلاقا من لحظة استجابته، أصبحت الموت تأتي الناس من دون سابق إنذار، ولم يبقوا مرعوبين منها بنفس الدرجة"[٤٠].

خاتمة:

مجمل القول، لقد مارس الإنسان بوادي زم زمن الحماية مجموعة من الطقوس والممارسات التي تنم عن تشبعه بالدين الإسلامي، مع ما رافق ذلك من عادات وتقاليد من مرحلة الإحتضار إلى مرحلة الموت تم الدفن، على إعتبار أن الموت نهاية الحياة ولا مفر منه لأي مخلوق فوق وجه الأرض.

[٣٩] رواية شفهية للسيد الفقيه الحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٦، على الساعة ٠٥:٥٤ صباحا.

[٤٠] الدكتورة ليجي، م. س، ص. ٢٢١.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391

البيبليوغرافيا:

– عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، إفريقيا الشرق ٢٠١٠- الطبعة الثانية.

– عبد العزيز طليح، إبقوين نبش في الذاكرة، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط ٢٠١٦.

– محمد الشرقاوي –البزيوي-، ورقات من تاريخ أبي الجعد: المدينة- الزاوية خلال الفترة ما بين ١٨٩٤ م- ١٩٥٦م، نشر دار الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠٢١.

– الدكتورة ليجي، المعتقدات والطقوس الشعبية للمغاربة قبل مائة عام، ترجمة: سعيد عاهد، نشر دار القلم العربي للنشر والتوزيع بلوك ج رقم ١٩٠ المغرب العربي القنيطرة- المغرب، الطبعة الأولى: ٢٠٢٢.

- **المقالات:**

– مصطفى الميموني، جوانب من التراث الثقافي بمجال بني مسكين، (ص ٣٧، ص٤٩)، التراث الثقافي اللامادي بالشاوية، الملتقى الثالث حول تراث وأعلام الشاوية جماعة بني خلوق- دائرة البروج إقليم السطات، إشراف وتحرير: شعيب حليفي ورياض فخري وخالد سرتي، نشر جامعة الحسن الأول بسطات، الطبعة الأولى ٢٠١٩.

– أحمد أبرهموش، الموت في مغرب ما قبل الاستعمار: ملاحظات على ضوء عوامل كثرة الموتان".

- **الرواية الشفهية:**

– رواية شفهية للسيدة ميمونة الوراق، يوم ٢٠١٧/٠١/١٦، على الساعة ١١:٤٩.

– رواية شفهية للسيدة حدهم وديعي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٦، على الساعة ١٠:٠٥.

– رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٥، على الساعة ١٩:٣٥.

– رواية شفهية للسيد الفقيه السي البشير البي، يوم ٢٠٢٢/٠٧/١٥، على الساعة ١٩:٤٠.

– رواية شفهية للسيدة طوطو الوراق، يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٣، على الساعة ٠٩:٠٠.

– رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم ٢٠٢٢/٠١/١٦، على الساعة ١٢:٣٤.

– رواية شفهية للسيدة صالحة الصافي يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٩، على الساعة ١١:٠٠.

– رواية شفهية للسيدة زوهرة الوراق، يوم ٢٠٢٢/٠٢/٠٤، على الساعة؛ ١٥:٤٠.

ISSN: 2537-0383 eISSN : 2537-0391